الجمهورية العراقية
وزارة الاوقاف

العروض

تهذيبه وإعادة تدوينه

صنعه
الشيخ جلال الحنفي

مطبعة العاني
١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ

« ليت يد الاصلاح تتناول العروض يوما ما .. »

الدكتور صفاء خلوصي

فنّ التقطيع الشعري ـ ص١٠٨ طبعة ١٩٦٦ .

الإهداء

الى الامام الجليل الجهبذ في النحو والعروض واللغة والنغم « الخليل بن احمد الفراهيدي البصري » ..

تحية تقدير لجهده العظيم في وضع قوانين العروض قبل اثني عشر قرنا .. واعتذارا أن أتطاول على قوانينه ودوائره بالتهذيب واعادة التدوين .. غير أني يشفع لي في هذا الامر أني توخيت أن انتهى الى ذات النبيجة التي انتهى اليها ، من وضع الضوابط الضامنة لحماية شعر العرب وصيانته وتيسير تعليمه ..

رحمه الله وغفر له وأجزل ثوابه ..

الشيخ جلال الحنفي

البغدادي

تقديم

بقلم العلامة الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي

بسم الله وبعونه ..

وبعد فمنذ مدة بعيدة أرقب مناسبة أدبية أردّ بها على الاستاذ الجليل الشيخ جلال الحنفي ألطافاً مَنَّ بهـا عليَّ في مناسبات سابقات ، فالرجل حيث ظهر لي أثرٌ حيّاه بالنقد وكَرَّمه بالمراجعة(*)، وحيث يقع لي أمر شاركني السرور والمواساة ..

لم يك هذا وحده باعث تقديمي لهذا الكتاب ، بل هناك باعث لم يمتّ الى الصلات الأخوية بنسب ، ولا يمسّني الاّ بمقدار ما يمسّ غيري من المعنيين بالعربية وعلومها ، أو المعنيين بتسجيل انطباعاتهم عن الشخصيات الأدبية المعاصرة ، وما يصدر لها من أثر كريم ..

والشيخ جلال شخصية أدبية معاصرة ، تنفـذ الى الأوسـاط العـامة والخاصة نفاذاً جعل منها عنواناً لظاهرة عراقية بغدادية ، يتحـدث الناس

(*) المقصود كتاب الدكتور عبدالرزاق محيي الدين « ادب الشـريف المرتضى » .

عنها حديث الجدّ حين يكون في الأمر جدّ ، وحديث الطرافة والندرة حين يكون الأمر عن نوادر الرجال ، وطرائف الأعمال ..

شخصية موسوعية تَعْرف من كلّ شيء أكثر من شيء ، وتمضي الى أيّ مشكلة بأكثر من حلٍّ وتوجيه ، ولـه في أكثر من مكان محـلٌّ لائقٌ مرموق ..

انه إمام جامع ، وخطيب جمعة ، من مكانه في الوظيفة ، ولكنه فقيه وأصوليّ في نظر دارسي الفقه وأصوله ، وهو كاتبُ مقالةٍ ومحرّرُ بحثٍ في ثبت الكتّاب والمحرّرين ، وشاعر مطبوع مترسّل في نظر أربـاب هـذه الصناعة، وهو بعد ذلك دارس اجتماعي يقيم دراساته على الخبرة والمشاهدة والوقوف عن كَثَب على ميادين التطبيق ..

انه مؤلف معاجم فصيحة ودارجـة ، في تتبّعٍ مستقصٍ الى أصول الكلمات ومواطنها الاولى ، والسبيل التي سلكتها في نقلتها وتطوّرها ، في توثيق يركن اليه أستاذ الجامعة وعضو المجمع ، ولا يجـد ضـيراً في أن يعتدّه من مراجعه ..

هو جامع أمثال ودارس آثار شعبية ، يأتي في مقدمة جامعي الأمثال ، ودارسي القصص الشعبي .. ويقال ـ ولا أعرف واقع ما يقال ـ انـه موسيقيّ يعرف الألحان ويحكم أصول الغناء العراقي والبغدادي بخاصة منه ، فان كان ذا حقاً ، فانه من غير شكّ سبيله الى ما اهتدى اليه في العروض من ملاحظات ..

ليس ما ذكرت كلّ ما ينسب اليه من وجوه المعرفة ، ولكنه ثبت كافٍ للشهادة بسعة العلم ، وبوضعه موضع المشهود لهم بالنـدرة والتميّز بـين الشخصيات العراقية المعاصرة ..

والشيخ جلال بعـد ـ على هـزال جسمه وضمور عوده ـ صعب المراس قويّ النفس ، يدير الحديث معك ـ مع أدب وتواضع ـ بقدرة الواثق من نفسه ، المعتدّ برأيه ، يأخذ ويعطي ، ويسأل ويجيب ، ويفتح

عليك أبـواب الشك فيما أنت مؤمن به ، غيـر هائب أن يكسر قاعـدة ، أو يخرج على مُسَلَّمة ..

مفتاح شخصيته ـ الى جانب ذكائه ودقة ملاحظته ـ طموح الى أن يكون شيئاً في كلّ شيء ، وطاقةٌ نافذة الى مسارب القوة والضعف في أي مقولة مسلّمة ، فان لم يجد جانب ضعف في المسلّمة تلمّسه في تصور خصمه لها ، وهو واجـدٌ ذلك ـ على أيّ حال ـ في كثـير من القـراء والمتحدثين اليه ..

وطموحه المشروع زَيَّنَ له في كثير من الأحوال قبول المخاطرة ، والمخاطرة في الأشياء المعنوية مثلها في الأشياء المادية قد تكون سبباً من أسباب التوفيق والنجاح ، ومن أسباب توفيقه هذا الروحُ المغامر المخاطر ..

وكتابه الذى أقدّمه أحد محاولاته الجريئة المخاطرة ، يناقش فيـه فنّاً من فنون الأدب الدقيقة ، ظلّ منذ عهـد « الخليل بن أحمد » مثابـة تقديس وتعبُّد ، لم يتناوله بالتطاول الاّ القلّة ، ولم يخرج عليه خارجٌ وكتبت له السلامة والعافية ..

والشيخ جلال في كتابه هذا ضَرَبَ من قواعد هذا الفنّ أكثر من قاعدة ، وهَزَّ أكثر من سارية ، وخرج على جملة المواضعات ، وقد تمّت لي من خلال قراءتي له ملاحظات وتعقيبات آثرت أن أضعها بين يديه ..

ليس لي وأنا أكتب تقديماً ، أن أستبق القارىء برأي ، أو أعقّب على قضية بنقض أو تأييد ، انّ الذي من حقي وواجبي أن أنوّه مُجْمِلاً بشأن ما ورد فيه ، من جدّ الآراء وخطرها ، وأثرها على تيسير هذا الفن وتهذيبه ، إنْ كتب لها الانتشار والذيوع ..

انني أتوقع أن يلقى من الناس قبولاً وحمداً ، ويتلقى رفضاً ونقداً ، وأن يثير هواجس المتمسكين بقواعد العروض الخليلي ، وتطلعات المتطلعين الى تصوّر جديد لقواعد علم العروض ، وأن يمتدّ ذلك الى الدراسات العروضية في الجامعات ..

ويوم يخرج علينا كتاباً مقروءاً ، سأكون ان شاء الله في مقدمة المقرظين والناقدين ، وسأربت على كتف أخي العزيز الشيخ جلال ، الحقيق بالتقدير والاعجاب ..

بغداد ٣/٦/١٩٧٧

عبدالرزاق محيي الدين

كلمـــة المؤلف

حمدا لله وصلاة وسلاما على نبيه الكريم سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ..

أما بعد فهذه دراسة في مباحث علم العروض وقد سميتها « العروض: تهذيبه واعادة تدوينه » ولعلّي فتحت بذلك أبواب هذا العلم على مصاريعها ليصيب من اختبارات أصحاب الصناعة ما يقرّبه من منطق العصر ويزيل عنه وعثاء سفرته البعيدة بعد أن ثبت أنه في حاجة الى التمحيص والتنقيح والتهذيب والتشذيب فان الذي وضعه وهو العالم الثبت الحجـة الخليل بن أحمد لو عاش بعده حينا من الدهر لعاد ـ حتما ـ الى تقليص ظل تلك المصطلحات الكثيرة التي سأورد نماذج منهـا للاطـلاع ، ولَـواصَـلَ وَضْـعَ الاسس العروضية لِـما كان قد جدَّ من الاساليب والفنون الشعرية المقبولة في الذوق والايقاع كالموشحات ونحوها ..

وستتضح طريقتي من خلال مراجعة المادة المثبتة في صفحات الكتاب آملا أن تدرس دراسة نقد وتمحيص وأن يصحح ما فيها من وهم وانحراف عن المنطق العلمي ان وجد من ذلك شيء قليل او غير قليل لكي نكون جميعا في خدمة هذا الفن الحضاري الرائق الجميل ..

وها أنا ذا أوضح ـ فيما يلي دواعي التأليف ومنهجي فيه فأشير الى أن العروض ما يزال يدرس في المدارس والكليات وتؤلف فيه الكتب الموجزة والمفصلة على ذات الهيئة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة وتابعه عليها المؤلفون والشراح العروضيون[1] .

وليست الاشارة ـ هنا ـ الى القرن الثاني الهجري بالمراد بها أن عروض الخليل بات قديما فما يستأهل أن يعيش بيننا بسبب هذا القدم .. فانا لا نميز بين الأشياء من هذه الوجهة وانما نميز بينها بما فيها من

---

(١) رغم أنّ شيئاً من التطور يسيراً عرض لعروض الخليل وصاحبه الأخفش ، فانّ قوانين العروض وحكاية الدوائر لبثت هي هي خلال المسيرة الحضارية ، ولم يكن هناك تجاوب تام أو شبه تام ، بين العروضيين والشعراء الذين كانوا يستحدثون بعض الأوزان فقد امتنع السكاكي في « مفتاح العلوم » أن يورد نصاً واحدا من المخمسات الشعرية بعد أن قال «وقد روي بيت على خمسة أجزاء جاء نادرا»..

وما أشار اليه فريق من العروضيين من أبيات مبتدعة الوزن ، انما كان ذلك يقع منهم مقرونا بالاشارة الى أن هاتيك الاوزان مهملة لم تعرفها العرب ، أو انها شاذة أو انها قبيحة .. ولو أن العروضيين كان لهم الخيار في هذا الأمر أو كانت لهم الحرّيّة في التدوين والنقل ، لتركوا لنا نماذج لا تحصى في عالم الابداع الشعري ..

وكانت الموشحات من بعض المبتدعات التي انصرف العروضيون عن تدوين قواعدها ، ولولا أنها ذاعت في أرجاء الأرض وشاعت في الأوساط الأدبية ، وجمعها بعض هواة الأدب لما امكن لها أن تصل الى جيلنا الحاضر ..

على أنه ذكر ان ابن سناء الملك حاول ان يقيم للموشحات عروضاً يكون دفتراً لحسابها وميزانا لاوتادها وأسبابها غير أنه لم يمض في وجهه هذا ..

وقد أشار ابن السراج العروضي الذي توفّي ببغداد سنة ٣١٦هـ الى وزن في الرمل لم يعرفه الخليل ولا الأخفش ، اذ قال في كتابه في العروض « وقد جاء مثل هذا الجنس ما لم يذكره الخليل ولا الأخفش عروض آخر في الرباعي مثل قوله :

بؤس للحرب التي غادرت قومي سدى

فهذا عروضه فاعلن وضربه فاعلن » ..

كبير فضل وجزيل منفعة .. وعلى ضوء ذلك نرجح القديم على الجديد أو نرجح الجديد على القديم ..

ان الكتب التي ألفت في العروض كثيرة كثرة ظاهرة وما منها الا ماأشار الى مافي العروض من تعقيد واطالة قول وكثرة ألقاب ومصطلحات.. ولكن دون المبادرة الى علاج العلة واستئصال الشأفة ..

فانا نرى الامام السكاكي ـ ٦٢٦هـ ـ صاحب مفتاح العلوم يقول في مفتاحه « ان هذا الفن ـ أي العروض ـ لكثرة ما اخترع فيه من الالقاب وأنشىء فيه من الاوضاع يتصور الكلام فيه من جنس التكلم بلغة مخترعة ».

ولكن السكاكي لم يكن في طوقه أن يعالج مشكلة اللغة العروضية المخترعة وانما كتب في العروض ما كتب على ذات النهج الذي عرفته كتب العروضيين ومصنفاتهم ..

ومن المحدثين الذين ألفوا في العروض نرى الاستاذ الحسّاني حسن عبدالله[1] وهو يتشكى من مصاعب العروض وتعقيداته ومن بعض ذلك قوله «ليس العروض بالعلم اليسير فهو يشق على كثير من الناس ليس في هذا الزمن فحسب بل هكذا منذ ازمان وازمان ... أعرف أناسا ذوى علم وأدب وذكاء لا يحسنونه وبعضهم جهد أن يلمّ بأصوله فما استطاع » ثم قال « وسبب آخر من أسباب صعوبة العروض كثرة مصطلحاته » ..

ويقول الاستاذ كمال ابراهيم في كلمته التي قدّم بها لكتاب القسطاس المستقيم للزمخشري[2] :

« والحق ان علم العروض فيه الكثير من التوعر والتعقيد ، في مصطلحاته وعلله وزحافاته ، وتداخل بعض بحوره في بعض عند نقص التفعيلات ، وكل ذلك يقتضى تجديدا في طريقة تقريب هذا العلم الى متناوليه » .

---

(١) تحقيق كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي .. طبع سنة ١٩٦٦ .

(٢) طبع ببغداد سنة ١٩٦٩ بتحقيق الدكتورة خديجة الحسني .